Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بيضة مكيفة الهواء

لو لم يأت صوتها من تلك العلبة البلاستيكية لأقسمت أنه آت من أعماق تلك المياه المظلمة التي أتحاشى السباحة فيها واهرول طوال النهار في أرجاء مكتبي في ناطحة السحاب هرباً من شياطينها وظلالها وأسماك قرشها وقناديلها المضيئة وهياكلها العظمية وصناديق كنوزها وأناشيد عرائس بحرها وقراصنتها. . .

آه تلك المياة المظلمة المضيئة في قاعي التي أتقن الهرب منها. . ولكنني أزورها مرغمة ليلاً حين يقتادني النوم إليها مقيّدة في قوارب الحلم. .

لو لم يأتِ صوتُها من سماعة الهاتف لأقسمت أنه يناديني من قاع تلك المياه لأقفز مستسلمة وأتبع نبراته حتى تلك الدهاليز المرجانية التي أحكمتُ إقفال أبوابها ذات يوم بسبعة أقفال وعملت على ذلك سبعة أعوام بلياليها وأنا انتحب: أغلق يا سمسم!

هل يمكن لصوت خافت مرتجف آت من سماعة الماضي النائي أن ينفجر في وجهي بموجاته الصوتية ممزِّقاً روحي وشظاياي تتطاير بين موجة وأخرى من موجاته وماء بحر غامض الأنواء يجرّني من جديد إلى الأعماق المعتمة وأنا عبثاً أقاوم؟

قالت لي بلهجة شامية عتيقة: أنا ميمنة أم عرفان الساروجي، هل تذكرينني؟

صرت أرتجف مثل قطة شتائية مبتلة في زقاق معتم، وقد ميَّزتُ صوت السيدة ميمنة وأشرت بيدي إلى سكرتيري كي يغادر الغرفة مع الموظفتين الجالستين إذ خفت أن تكتشف دموعي الجافة دربها إلى خدي بعد سنوات طويلة، وتتساقط على وجهي ومعها أسطورة المرأة فولاذية الأعصاب.

صرت أكرر بذهول كخرقاء: أم عرفان الساروجي؟ «ميمنة خانم»(*)؟

(*) خانم: لقب تركي يطلق في دمشق على النساء احتراماً.